

# أحوال المعرفة

فصلية | ثقافية | جامعة | تصدر عن مكتبة الملك عبد العزيز العامة

العدد ٧٧ السنة الثامنة عشرة  
لuned الأخر ٥١٤٣٥ هـ / فبراير ٢٠١٤م



الدعا شفافية جامعة



مكتبة الملك عبد العزيز السعودية



جامعة خادم الحرمين الشريفين  
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجلة الدعوة  
الإعلام الإسلامي بمفهومه العصري المتتطور

NEW & EXCLUSIVE



### د. عبد الكريم بن إبراهيم السمك

قال غوستاف لوبيون في كتابه «حضارة العرب»: «إن لفظة الرق إذا ذكرت أمام الأوروبي، الذي اعتاد تلاوة الروايات الأمريكية، المؤلفة منذ ثلاثين سنة مضت، ورد على خاطره تلك الصورة المؤلمة لأولئك الأفارقة المساكين المثقلين بالسلاسل والمكبلين بالأغلال، والمسوقين بضرب السياط، الذين لا يكاد يكون غذاؤهم كافياً لسد رمقهم، وليس لهم من السكن إلا حبس مظلم، وإن الإنكليز هم أصحاب المسؤولية في ذلك الزمان، أما الحق اليقين، فإن الرق عند المسلمين، يخالف ما كان عليه عند النصارى تمام المخالفة».

# عبر التاريخ الإنساني

هذا الموضوع قل أن تجد كاتباً غربياً كتب عن العرب وال المسلمين إلا وتطاول عليهم في هذه المسألة، متناسين بذلك صورة سوق الأفارقة كرقيق إلى أمريكا والحال الذي نقلوا فيه.

وفي المقابل قلما تجد واحداً من علماء المسلمين، بعموم علومهم، إلا وتكلم عن تكريم الإنسان في الإسلام ومتهم العبيد، منها من كانت كتابته ردأ على الشبهات، ومنها ما كان بياناً يسمون رسالة الإسلام في معالجته لهذه القضية، فالأسود والأبيض، والحر والعبد أمام الشرعية سواء، وعتق الرقاب هو سنام الأمر في الإسلام.

ومن أشد الناس هجوماً على الإسلام، كان الكاردينال الفرنسي «لافيجري»، وكان قد ألقى محاضرة في كنيسة «سان لوبيس» الباريسية، وذلك سنة ١٨٨٨م، بحضور جموع كبير من المثقفين والمفكرين، وكان من حضورها وسمع هجومه على الإسلام ورسالته في قضية الرق، الأستاذ أحمد شفيق أمين سر ناظر الخارجية المصرية، الذي كان موجوداً يومها في باريس، فآلمه ما سمعه من «لافيجري»، وكتب عليه ردأ علمياً صدر في كتاب باللغة الفرنسية، وأستأنده في تعريبه يومها والتعليق عليه، العالمة أحمد زكي، وجاءت تعليقاته

**الرق لغة واصطلاح:**  
الرق في اللغة: هو الضعف، ومنه رقة القلب، والضعف هنا ليس المقصود منه ضعف الجسد، فلربما وجد من العبيد من هم جسدياً أقوى من الأحرار، والرق بكسر الراء من العبودية، واسترق مملوكه «أرقه» وهو ضد اعتق مملوكه، والرقيق هو المملوك واحداً وجمعها وفي المصطلح: الرقيق أو العبد هو إنسان محروم من الأهلية، وهو مملوك لإنسان غيره، يتصرف فيه تصرفه بملكه، فإنه أن يستخدمه ويؤجره ويرهنه ويبيعه وبهبه، والرق وجد مع بدايات المجتمعات الإنسانية الأولى، حيث أوجده القوي على الضعيف، لتخلصه من الأعمال المتعب له، ومن هنا كان الرق.

**داعي الكتابة عن الرق:**  
جاءت داعي الكتابة عن الرق في الإسلام، على شكل دراسة مقارنة، فيما بين الإسلام والحضارات الإنسانية الأخرى، في قدميها و وسيطها وحاضرها، بقصد بيان مكانة الإنسان في الإسلام، ومن جانب آخر كثرة الحملات المشبوهة ضد الإسلام في هذه القضية، على يد علماء ومفكري ومستشاري الغرب، إضافة لقسامه الكنائس، ففي مثل

أحمد شفيق

# الرق في الإسلام



ترجمة : أحمد زكي

حددت شريعة «مانو» البرهامية درجة «السودرا» وهم يماطلون الرقيق الذين هم من الطبقة «الدنيئة»، ويماطلهماليوم في الهند طبقة «المتنبودين»، ويماطلها في ذلك، الحضارة الفارسية وحضارات العراق القديمة والرومان واليونان والإغريق، فمدينة أثينا التاريخية كان عدد سكانها عشرين ألفا، وكانت تسترق أكثر من أربعين ألفا، وكلما انتصرت في حرب على خصومها، زاد عندها عدد العبيد.

هذا ولم ينكر فلاسفة اليونان في مجتمعاتهم مسألة الرقيق، فكان أفلاطون يقول: «إن الله يسلب الرجل نصف عقله متى وقع في الرق»، ويقول أرسطو: «إن الطبيعة أوجدت رجالا للأمر والسيطرة، وأخرين للطاعة والخضوع، فالعبد خلقوا للخضوع، ويجب على الأحرار أن يستكثروا من العبيد لاستخدامهم في الأعمال اليدوية الشاقة، وينصرفوا هم للأعمال الفكرية»، ثم يمضي فيقول عن الرقيق آلة ذات روح، أو متعة قائمة به الحياة»، ثم قسم الجنس البشري قسمين: وهما «الأحرار والأرقاء».

لم يكن واقع الاسترقاق في الديانتين اليهودية والنصرانية بأحسن حال، فاليهود يرون في الاسترقاق ضربا من ضروب الشروة والشراء، إضافة إلى كونه شكلًا من أشكال التجارة، وحال الرق في النصرانية لا يقل شأنًا ولا مكانة عن واقع الرق في المجتمعات الإنسانية واليهودية، ويبدو أن الكاردينال «لافيجري» وغيره من أبناء مدارس الاستشراق، يغضون النظر عن واقع الرق في عقائدهم، ولا يرون إلا بعين واحدة، بقصد النيل من الإسلام في هذه المسألة.

فقد أوصى «بولس» الأرقاء بطاعة موالיהם لأن ذلك من تعاليم السيد المسيح عليه السلام - حسب قوله -، وكل من جاء بعد بولس نهجوا على منواله، ومنهم «توماس الأكونيني» المشهور الذي قال: «إن الطبيعة خصصت بعض الناس ليكونوا أرقاء»، والشواهد كثيرة

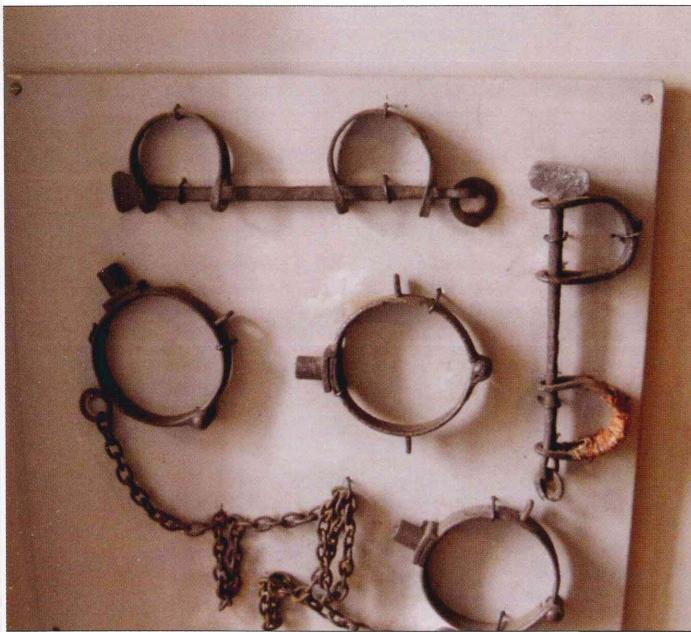
متتممة للرد، فجاء الكتاب في عدد صفحاته في حدود المائة وخمسة وعشرين صفحة.

وقد نال الرد القبول في الأوساط العلمية، ومنهن أثني على الرد المسيء «مسيمير» رئيس أساقفة الإرسالية الفرنسية في مصر سابقا، وقد جاء تعليقه في جريدة «المؤيد» المصرية لصاحبها الشيخ على يوسف، في العدد ٥١٤ «ال الصادر في ٢٨ محرم لسنة ١٣٠٩ هـ - ١٨٩١ / ٩ / ٢»، حيث يقول (مسيمير) هذا والمشهود له بسعة علمه: «لقد أفهمت خصمك، وإن الحق في جانبك» وقال معلقاً على الكتاب: «هذا الكتاب الجليل النفيس هو من أحسن وأفضل ما صنف في الدفاع عن الديانة الإسلامية، التي قام الكاردينال لافيجري وأشياعه باتهامها بأنها هي التي تدعو إلى النخاسة، ولن تخل حضارة من الحضارات الإنسانية من وجود الرقيق، وعندما جاء الإسلام نادى بتحرير الرقيق عن أواسط أفريقيا».

ومن هنا جاءت دواعي الكتابة عن هذه المسألة، لدفع الاتهامات وردها على أهلها، وهو الغربيون، الذين تسلطوا على القرار العالمياليوم، فوسمو هذا العصر الذي نعيش فيه، بأبشع صور الظلم والقهر على الشعوب الضعيفة والفقيرة، ما يفوق أزمته العبودية والاسترقاق.

## الرق في الحضارات القديمة والوسطى:

وكما سبق في التعريف الاصطلاحي، فإن الاسترقاق عرفته جميع الحضارات القديمة، كواقع اجتماعي، فرضه واقع الانقسام المجتمعي، منذ نشأة هذه المجتمعات التي كانت شعوبا وأمم وحضارات، فجميع الحضارات القديمة شهدت وجود الرقيق، ففي الهند القديمة والحديثة



الأدوات التي كان يُكبل بها الأفارقة لنقلهم إلى الأمريكتين



سجن غانا الذي كان يوضع فيه العبيد لترحيلهم إلى الأمريكتين

من سوغوا إلى شرعية تجارة الرق لنقلهم إلى الأمريكتين، بعد استعماهما من قبل دول الغرب الأوروبي، وقد اشترك الجميع في نقل الأفارقة ليحلوا محل الهنود الحمر سكان أمريكا الأصليين، كل من بريطانيا وفرنسا وهولندا وأسبانيا والبرتغال، وكان الإنكليز أكثرهم نشاطاً في تجارة الرق.

ولا زالت نظرة الاستعلاء والتكبر في الولايات المتحدة على أبناء العرق الأسود، من قبل ذوي الأصول السكسونية، على الرغم من أنهم أبناء وطن واحد، ولا يغيب عن قصة

**أفلاطون: إن الله يسلب الرجل نصف عقله متى وقع في الرق**

الحرب الأهلية الأمريكية بين الجنوب والشمال، التي كان من أسبابها رفض الجنوبيين منح

الحرية للعبد، بعد أن منهم إياها الشماليون، وذلك بعد تشكيل الحزب الجمهوري الأمريكي سنة ١٨٤٠ م ومضييه في محاربة الرق والقضاء عليه.

#### الحروب مصدر الرقيق:

تعتبر الحروب هي مصدر الرق الأول ومنبعه في سائر العهود الإسلامية، فقد قيده الشرعية بقيدين: الأول أن تكون الحرب قانونية ونظامية، والثاني أن تكون الحرب مع القوم الكافرين.

قال الله تعالى: «قاتلوا - على صيغة الأمر والنظام - الذين لا يؤمنون بالله ولا اليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق، من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية» الآية ٦٩ التوبية.. في هذه الآية تنصيبيز بين الوثنين والكتابيين وذلك فالمسلمون قبل أن يفتحوا بلاداً كانوا يبعثون إليها بالرسل للتداول في شأن الصلح، وأمورهم - أي المسلمين - واحدة في كل فتح لبلادٍ من البلدان، فكانوا يخرونهم بين الجزية وأن يبقوا على عقيدتهم، وهم

عند هؤلاء عندما ربطوا الرق بالعقيدة النصرانية، وقد أقر الأب «فوردنيه» رئيس دير الروح القدس في الاسترقاق، وأنه من تعاليم الديانة المسيحية» وذلك في كتاب نشره سنة ١٨٣٥ م بتصدير من المجلس الديني في روما، وقد أثبت المسيحي «باتريس لاروك» في كتابه الذي عنونه بـ«الكلام عن الاسترقاق عند الأمم النصرانية»، المطبوع في باريس سنة ١٨٦٤ م، «إن الديانة العيساوية لم تحرم الاسترقاق نصاً، ولم تلغه عملاً» وأيد قوله بتصوّص مكتوبة في الديانة النصرانية، وقد ذكرها كاملاً، وقال «بيير لاروس» صاحب المجمع الكبير في القرن التاسع عشر، والمطبوع في باريس ١٨٧٠ م، الجزء السابع، الحرف E، الصفحة ٨٥٧ العמוד ٢ الفقرة (٢)، «لا يعجب الإنسان من بقاء الاسترقاق واستمراره بين المسيحيين إلى اليوم، فإن رجال الديانة الرسميين، يقررون بصفته، ويسلمون بمشروعه»، وهكذا نلاحظ بأن العقيدة النصرانية قد أقرت الاسترقاق دينياً، ويتذرع على الباحث بعد هذه القرائن، أن يجد سعيًا عند هؤلاء القوم لإبطال قضية الرق، في دياناتهم التي هيأت السبيل لاستعباد الأفارقة الأحرار، ونقلهم إلى العالم الجديد - أمريكا بشمالها وجنوبها -، على يد أبناء الغرب النصراني.

وعندما سقطت الإمبراطورية الرومانية، فقد ظهر على الساحة الأوروبية مجتمعات العصر الوسيط، وقد شكلت هذه المجتمعات كيانات سياسية حديثة، كالأنجلو-سكسون والجرمان والقوط والبلغار واللومبارديين - سكان شمال إيطاليا -، والفالزيين - غاللة هي فرنسا -، وغالياً اليوم هي أمام جبال الألب - إيطاليا الشمالية -، فجميع هذه المجتمعات التي كانت النواة الأولى لتشكيل أوروبا السياسية في العصور الوسطى والحديثة، قد ورثت من المجتمعات التي قامت على أنقاذهما، شرعية الاسترقاق، بل أزدادت سوءاً عن أسلافها، في كل المجتمعين الروماني واليوناني، ولعل رجال الدين النصارى هم

الأحوال، وقد تم حصر أكثر من مائتين وأربع وثلاثين آية في كتاب الله كلها تخص الرق، منها ما كان في نكاح الإمام، ومنها ما كان في التعامل بالرفق واللين معهم، ومنها ما كان بالعتق لهم وتحريرهم، وكلها معنية بأحكام الرق على أنهم من خلق الله، فمن نماذج العتق قال تعالى: «وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ، ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة ودية مسلمة إلى أهله» سورة النساء الآية ٩٦.

وكلثيرة هي الأبواب التي خصها الشرع الإسلامي لعتق الرقاب، أما في السنة النبوية فقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: «من اعتق رقبة مؤمنة اعتقد الله بكل عضو منه عضواً من النار»، وعن البراء بن عازب قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «لدنلي على عمل يقربني من الجنة ويبعدني عن النار»، فقال: «اعتق النفس أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها»، وكتب السنة أفردت أحاديث العتق لكثرتها في السنة النبوية في أبواب وفصول خاصة فيها.

وقد استند الفقهاء إلى المكانة التي خص بها الشريعة الرق، وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بالأدب بمنطق القرون الوسطى فإن الطبيعة خصت بعض الناس بالمملوك فقال: «من ليكونوا أرقاء!!!

لطم مملوكه أو ضربه كفارته عتقه» وفي مذهب أبي حنيفة بأن الحر يقتل بالعبد، وهناك وصية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مسألة ضرب العبد حيث يقول: «أضرب عبدك إذ عصى الله، وأعف عنه إذا عصاك» أو كما قال. ومن آداب النبوة مع الأرقاء، فعن أبي هريرة أنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «لا يقل أحدكم عبدي أمتى، وليلق فتاي وفتاتي وغلامي» لأن العبودية لله وليس للبشر.

في حماية المسلمين، أو الدخول في الإسلام، سلموا وجنحوا أنفسهم وبلات الحرب ونتائجها، وفي معظم البلدان أهالي البلد يستقبلون المسلمين برضاء وطيب خاطر، ولا يغيب عننا الصورة التي استلم فيها الخليفة عمر بن الخطاب القدس الشريف وأمن أهل الكتاب على عقائدهم وعباداتهم. فالسيف يفتح أرضًا ولا يفتح قبلًا، وقد دخل الناس في دين الله أهواجاً، بسبب ما وجده في سماحة الإسلام، ولا يغيب عننا عمر بن العزيز رحمة الله، في رسالته التي أرسلها لعامله الجراح بن عبد الله الحكمي، عند ما أرسل يستشيره في مسألة دخول أهالي بلاد ما وراء النهر في الإسلام وسقوط الجزية عنهم، فقال له «إن الله أرسل محمداً داعياً ولم يرسله جابياً»، فذلك هي صورة وطبيعة حروب المسلمين، التي حدّدت

**من وصايا نبي الإسلام: لا يقل غایاتها في نشر رسالة الإسلام  
أدكم عبدي وأمتى، وليلق فتاي وليس استعباد الناس، بعد أن  
وفتاتي وغلامي** حدد الإسلام شروط الاستعباد،  
ولا يغيب عننا مصالحة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لنزارى نجران، مع إطلاق الحرية لهم في معتقدهم، وكذلك ما ذهب إليه عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما فتح مصر، فقد وجد أقباط مصر الحرية والعدل في كنف المسلمين، أكثر مما وجده في كنف أبناء عقيدتهم الروم.

#### العتق في القرآن الكريم والسنّة والنبويّة

القرآن هو مصدر التشريع الأول في الإسلام ويليه في هذا الأمر السنة النبوية الشريفة، فكلا المصادر قد اهتمت بقضية الرق عناية خاصة، فاقت غيرها من القضايا الشرعية، من باب تكريم الإنسان الذي كرمه الله في كتابه الكريم، فقد مضت الشريعة بتنقييد القيود في مسألة الاسترقاق، وكانت القاعدة الأصولية التالية، التي حرم استعباد مولود مسلم من أبوين حرbin، فلا يجوز استرقاقه بأي حال من

القامة مهاب عند من يراه، فهابه المقوقس لشدة سواده، وقال نحوا عني هذا الأسود، فقال الوفد المرافق: هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلمًا وهو سيدنا والمقدم علينا، ورأينا من رأيه، وهنا تقدم عبادة قائلًا للمقوقس إن في جيشه ألف أسود وهم أكثر سواداً مني، فتلك هي حضارة الإسلام التي أذابت الفروق بين اللون والنسب، ولا فضل بين الفريقين إلا بالتقوى.

وهذا عبد الملك بن مروان عندما يأتي حاجاً، يأمر بأن لا يفتني في الناس أحد غير عطاء بن رباح، إمام أهل مكة وعالماها وفقيهها، ومن أوصاف عطاء رحمة الله، أنه كان أسوداً وأعوراً وأفطس الأنف أشد وأخرج مقلفل الشعر، كان إذا جلس في حلقته العلمية بين الآلاف من تلاميذه، بدا كأنه غراب أسود في حقل قطن أبيض، هذا الإنسان بما فيه من عاهات بدنية، جعلته حضارتنا إماماً يرجع الناس إليه في الفتوى، ومدرسة تتلمذ على يديه فيها آلاف العلماء، وإضافة لسمو مكانته علمياً فقد كان صاحب منزلة عند خليفة المسلمين.

وقد عرفت حضارتنا من أصحاب البشرة السوداء من لم يحل سوادهم بينهم وبين الخلفاء والحكام، بسبب سمو مكانتهم في علومهم، فهذا الزيلعي عثمان بن علي شارح الكنز في الفقه الحنفي، والحافظ جمال الدين أبي محمد الزيلعي ٧٦٦ مؤلف نصب الرأبة، وكلها من زيلع الحبشية وهما أسودان

**حيثياً بالتكريم والتقدير، ولا من أسمى وجوه الحضارة يغيب عننا كافور الإخشidi الإسلامية، أنها نقلت الإنسانية من أجواء الحقد والكراءية للأسود الذي خلده المتبنّي في التفرقة والعصبية إلى أجواء مدحه وهجائه. وفي عهد عمر الحب والتسامح والتعاون**

بن عبدالعزيز (١٠٠) هـ شكت له امرأة سوداء تسمى (فرتونة)، بأن لها حائطاً قصيراً، وكان سبباً لسرقة دجاجاتها، فأرسل عمر لواليه على مصر طالباً منه أن يصلح لها الحائط ويحسن لها بيتها. فتلك هي صورة الإسلام في تكريمه للإنسان في حالة كونه مملاكاً، وتكريمه في مجتمعه عند ما يكون حراً، وصلى الله وسلم على نبي الإسلام الذي قال: «سلمان من آل البيت، وفي حدث آخر لا فضل لعربي على أجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى».

وفي المملكة العربية السعودية التي تدين بالإسلام شريعة ومنهاجاً، كان لمشروع الملك فيصل رحمة الله الإصلاحي صدا عظيماً عندما بلور حقوق الإنسان الذي أقرته منظمة الأمم المتحدة في ثلاثة مادة، فجمعه الملك فيصل في عشرة مواد، العاشرة منها جاءت على تحرير العبيد ومنع الاسترقاق منعاً مطلقاً، وجاء ذلك في بيان يوم الثلاثاء ٩ جمادي الثانية ١٣٨٢ هـ ٦ نوفمبر ١٩٦٣ م، في أول اجتماع وزاري ألقى فيه الفيصل رحمة الله بيانه هذا.

#### المساواة في رسالة الإسلام:

إن من أسمى وجوه الحضارة الإسلامية، إنها جاءت ببعدها الإنساني، فنقلت الإنسانية من أجواء الحقد والكراءية والتفرقة والعصبية إلى أجواء الحب والتسامح والتعاون والتساوي أمام الله، ولدى القانون، تساوياً لا أثر فيه لاستعلاء عرق على عرق، أو فئة على فئة، أو أمة على أمة، وقد تجلى ذلك في الآية الكريمة: «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً» النساء الآية ١، وفي الحديث «كلكم لأدم، وأدّم من تراب»، فتلك هي النزعة الإنسانية في تشريعنا الحضاري وخير مثال على صورة هذه النزعة العظيمة، هو ما تمثله الصلاة والحج وسائل العبادات، حيث يتساوی فيها الجميع.

ضرب الإسلام أروع الأمثلة في المساواة ومحاربة العنصرية في قلب المجتمع الإسلامي، فهذا أسامة بن زيد رضي الله عنه، يؤمّره رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس جيش فيه خيار الصحابة، وهذا بلال الحبشي يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعتلي الكعبة ويؤذن على ظهرها، وهي القبلة المعموظة في الإسلام، وقد عاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر عندما قال لبلال يا بن السوداء، فقال له إنك أمّرْتَ فيك جاهليّة. أغيّرته بسواد أمّه، وهذا حد الفصل بين الجاهليّة والإسلام، وفي الأثر عن رسول الله صلى الله عليه أن امرأة سوداء كانت تقوم على نظافة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تراكم بعض الأوساخ في المسجد، فسأل عن المرأة التي كانت تقوم على نظافة المسجد، فقالوا له: إنها ماتت، فقال دلوبي على قبرها فذهب فصل على قبرها صلى الله عليه وسلم.

ويوم فتح مصر أرسل عمرو بن العاص عبادة بن الصامت رضي الله عنه إلى المقوقس حاكم مصر، وكان ذا بشرة سوداء، وكان طوبل